المصـــــدر : الحياة
التـــاريخ : 21-04-2006 العـــدد : 15722
الصفحـات : 9 المسلسل : 57

دورة السياسة في المنطقة وإيقاعها الإيراني

■ ازديـاد الوعي العربي لخطورة المواقف والأدوار الايرانية على منطقة الخليج وفي سـورية ولبنـان لم يتحول بعد الى فكر معمـق في كيفية وضع اسـتراتيجية تحمي المنطقة العربية من طموحات ايران على حسابها. المفيد في هذا المنعطف ان بعض الدول العربية الرئيسـية يراجع سياساته وقد بدأ توسـيع نظرته التقليدية للموازين والمعادلات السـائدة في المنطقة. المؤذي أن هنـاك تلكؤ في تطوير التفكير الى سياسـة متماسـكة تبلّغ الى العواصم الاقليمية والدولية ترافقها حملة توعية شعبية. فمن الضروري ان يفصل الرأي العـام العربي كراهيته للمواقف الأميركية إزاء فلسـطين والعراق عن أوهامه بأن ايران سـتنتقم له من أميركا لتخدمه في حين أنها تسـعى لتكون عملاقاً اقليمياً تخضعه. هذا ليس تحريضاً ضد ايران ولا هو مباركة لخيار عسكري في مواجهة تصعيدها واسـتفزازاتها. انه دعوة الى حديث ضروري وصريح في البيئة العربية عمن يخدم طهران على حسـاب الشـعوب العربية واتخاذ اجراءات ضده الى جانب المبادرة عربياً لابلاغ طهران ان استخدامها للعراق وسورية ولبنان مرفوض عربياً، بلا خوف من عقاب وانتقام.

المواجهة الايرانية مع الأسرة الدولية في الشأن النووي سياسة مدروسة وضعتها المؤسسـة الدينية الحاكمة وليست مجرد افراز لشخصية الرئيس محمود أحمدي نجاد الاسـتفزازية. تكليف رئيس مجمع تشـخيص مصلحة النظام الايراني، هاشـمي رفسـنجاني، الاعلان عن تمسك ايران بتخصيب اليورانيوم يشـكل رسالة أساسية مفادها: ليس الانقسام في الصفوف وانما التماسك والوحدة وراء السياسة النووية.

رفسـنجاني قام بجولـة على دول عربيـة يمكن وصفها بانهـا زيارات بوجهيـن: وجه للتلطيف والجاذبية والتأكيـد على أن بلاده «على يقين من أن دول الخليج لن تساعد الولايات المتحدة في شن هجوم عليها». ووجه الانذار والتحذيـر المبطن للدول الخليجية بأن تقديمها أية تسـهيلات أو أية مباركة لعمليات عسـكرية ضد ايران سـتترتب عليه اجراءات ايرانية ضدها. فمدينة دبي وجه للغرب في عقر الدار الخليجية وهي مرشحة لتكون شبيهة البرجين التوأمين في نيويورك اللذيـن أصبحا ركاماً في أعقاب ارهاب ١١ أيلول عام ٢٠٠١. والكويـت دولة صغيرة تعتمد كلياً على اسـتيراد أمنها من الولايات المتحـدة. فهذه محطات أولى للانتقام قد تخطر في بال القيادة الايرانية. أنما أفاق الانتقام أوسع.

فقد نقل عن مسـؤول في «الحرس الثوري» تأكيده ان طهران دربت ٥٥ ألف انتحاري مسـتعدين لضرب أهداف بريطانية أو أميركية في العراق، في حال تعرضت المنشآت النووية لهجوم. الانتقام الايراني من اعتداءات أميركية عليها مبررة منطقياً. لكن الاعداد المسبق للانتحاريين ليستخدموا في العراق كجزء من السياسة الايرانية النووية يبين كم ان طهران مستعدة لاستخدام أي أرض عربية أو أية قضية أو معاناة عربية لمصلحتها.

لبنان ساحة أخرى للاستغلال الايراني عبر نفوذ طهران العميق مع «حزب الله» في علاقة حولتها ايران لخدمتها على حساب لبنان بدلاً من علاقة تخدم لبنان، بطائفته الشـيعية. فلو كانت طهران حريصة على شيعة لبنان بالدرجة الأولى لدعمت مسيرة لبنان نحو الاستقلال الحقيقي والسيادة والازدهار بما يدر بالخير على جميع أهاليه. إلا أنها تتمسك بالتحريض وتسليح الميليشيات لتحويل لبنان سـاحة لحروبها مستخدمة بأرواح شيعة لبنان اذ أنهم هم أيضاً ضحية اللااستقرار والحروب والاستخدام المبتذل للبلد.

الفلسـطينيون أيضاً ضحية التسـابق على تزعم قضيتهم عبر مزايدات عربية وايرانية. حقيقة الأمر ان هناك علاقة ايرانية – أسـرائيلية تهادنية كما هناك علاقة أميركية – ايرانية تهادنية. طهران تدعم فصائل فلسـطينية وهي لم تحترم القرارات الفلسطينية سوى عندما تطابقت مع مصالحها. لذلك، أنها الآن توحـي بأنها تود تبني واحتضان حكومة حماس التي تعاني من مقاطعة أميركية وأوروبية لها. لكن طهران لن تأخذ بهذا التبني والاحتضان الى درجة ايذاء نفسـها اذ ان حدوده هي الاسـتخدام وان أدى الى ايذاء الفلسطينيين وقضيتهم.

أما سـورية، فإن لايران علاقة «اسـتراتيجية» معها عندما يتطلب الأمر، وهي سـبق وتملصت من تصنيف «العلاقة الاسـتراتيجية» عندما لم يناسب مصالحها، انهـا علاقة المحور. وفي هذا المنعطـف، تحيي طهران المحور مع دمشـق لغاياتها وتتلقى دمشـق هـذا الاحياء بكل امتنان اذ انه خشـبة الخلاص لها، وان كان موقتاً. وكما سـبق واسـتخدمت القيادة السورية في الثمانينات ما اسـمته بالورقـة الايرانية خليجياً، فإن القيـادة الحالية تحلم بالوزن ذاته في علاقاتها مـع الدول العربية الخليجية، متحصنة بالمحور وبـ «الورقة الايرانية».

الدول العربية ذات الوزن الاقليمي بدأت تدرك خطورة الارتماء عند اقدام السياسـة الايرانية الاقليميـة وافرازات الصمت على مسـاهمات عربية في السياسـة الايرانية لخدمة طهـران. لذلك، بدأت تفكر فـي الخيارات أمامها ابتداء من الورطة التـي تترتب على عزل «حماس» ورميها في أحضان ايران مـروراً بعواقب تدخل ايران في الشـأن اللبناني، انتهاء باسـتخدام طهران للعراق سـاحة لحربها مع الولايـات المتحدة وتوظيف محورها مع دمشـق لغايات الابتزاز.

فلسـطينياً، ان مقولة رفض معاقبة الشعب الفلسطيني على ممارسة حقه الديموقراطي بانتخاب «حماس» الى السـلطة كلام للاستهلاك المحلي. فدعم «حماس» للعمليات الانتحارية التي تبنتها فصائل فلسطينية أخرى ينفي عملياً سلطة «السـلطة الفلسـطينية» المنتخبة. «حماس» ما زالت تتصرف كحركة وليـس ككحكومة. الدول العربيـة غير قادرة على حمايتها من الاسـتحقاقات الدولية تحت رأية احترام العملية الديموقراطية الانتخابية.

«اللجنة الرباعية» التي تضم الولايات المتحدة وروسيا والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة لها مطالب واضحة من «حماس» الحكومة. وهذه اللجنة تأخذ دولاً مثـل المملكة العربية السـعودية ومصر والاردن شـركاء لها في الدفع بعملية السلام للشـرق الأوسط الى الأمام. ايران لا تبالي بعملية السلام، بل انهـا تفضل احباطها، لكن الاطـراف العربية المعنية غير قادرة على مزاحمة ايـران على احتضان «حماس» لأن «حماس» تتملـص من الالتزامات الدولية التي قطعتها «السلطة الفلسطينية» وتطالب بالتمويل الدولي لها في آن.

على رغم ذلك، هناك حاجة الى عمل عربي نحو توفير المسـاعدة للشعب الفلسطيني كي لا يعاقب على اختياره «حماس»، وكي لا تستفيد ايران من اي تقاعس عربي في مساعدة الفلسطينيين، وكي لا تتحول «حماس» الى ميليشيا من الميليشيات العربية التي تقسم الولاء لطهران.

لبنانياً، يجـب على الدول العربيـة وعلى جامعة الـدول العربية الإقرار بالمسـؤولية العربية نحو لبنان ليس من ناحية تقديم المساعدات المالية اليه وانمـا من ناحية منع التضحيـة به تحت شـعار العروبـة والمقاومة والاخوة المفروضـة. فهناك قرارات دوليـة يجب احترامها تتعلق بالسـيادة اللبنانية وأخـرى تتعلق بالتحقيق الدولي في العمل الارهابي الذي أودى بحياة رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري.

الزيـارة الأخيرة التـي قام بها رئيس «اللقـاء الديموقراطي» النائب وليد جنبلاط الى المملكة العربية السعودية مهمة جداً لأسباب شكلية وجوهرية عدة تتعدى تبديد سوء التفاهم بين الرياض وجنبلاط في شأن المبادرة السعودية قبل شـهرين. توقيت الزيارة بحد ذاته له دلالات ورسـائل بينها رسالة مهمة الى دمشق التي أصدرت مذكرات توقيف وجلب بحق جنبلاط والوزير مروان حمادة الذي رافقه في زيارته الى الرياض. فلقد كانت الجهات السورية تعمدت في تصريحاتها الى مدير مكتب «الحياة» في دمشق إبراز الدور السعودي في ما اعتبرته تصحيحاً لمواقف النائب سعد الحريري، واعلان جنبلاط «معزولاً» وحيداً في انتقاداته لسياسـاتها. كان ذلك في عـيد الاثنين، يوم الثلثاء طار جنبلاط الى الرياض في طائرة خاصة وأجرى محادثات ناجحة.

نجاح هذه المحادثات يكمن أولاً في اسـتقبال خادم الحرمين الشريفين الملـك عبدالله بن عبدالعزيز لجنبلاط وفي المؤشـرات التـي تفيد بأن هناك تحـركاً نحو اعادة طرح المبادرة السـعودية التي تضمنت ترسـيم الحدود اللبنانية – السـورية وإقامة العلاقات الديبلوماسية الرسمية وتبادل السفراء. وقـد تتطور المبادرة السـعودية لتصبـح مبادرة تطرح من خـلال الجامعة العربية.

فصـل العلاقات اللبنانية – السـورية عـن التحقيق فـي اغتيال رفيق

المصـــــدر : الحياة
التـــاريخ : 21-04-2006 العـــدد : 15722
الصفحـات : 9 المسلسل : 57

الحريري ورفاقه مطلب ليّاد سعد الحريري واعتبره وليد جنبلاط «تضحية» وافق عليها بعد زيارته الرياض، حسبما يبدو، قد يكون الهدف من الفصل احتواء التوتر والتصعيد في العلاقات اللبنانية – السورية، انما الأهم هو التركيز على متطلبات تطبيع العلاقات اللبنانية – السورية بمعزل عن التحقيق الدولي الى حين استكماله.

من هنا، فإن القاسم المشترك بين الموقف السعودي الذي يفترض أن تدعمه الجامعة العربية، وبين الموقف اللبناني الذي يلقى «الاجماع» كما بيّن الحوار الوطني، وبين الموقف الدولي الذي أبرزه التقرير الأخير للأمين العام في شأن تنفيذ القرار ١٥٥٩ واضح وهو: مركزية موافقة سورية على ترسيم الحدود مع لبنان وإقامة علاقات ديبلوماسية يكون السفراء عبرها قناة الاتصال بين الدولتين وليس الضباط احياء للعلاقة الأمنية السابقة.

التقرير الذي رفعه الأمين العام كوفي انان الى مجلس الأمن هذا الاسبوع وأعده مبعوثه الخاص المكلف مراقبة تنفيذ القرار ١٥٥٩، تيري رود لارسن، تقرير مهم.

فهذه أول مرة في اي من التقارير المعنية بتنفيذ القرار ١٥٥٩، يربط الأمين العام بين حكومة ايران وبين تنفيذ القرار الدولي ويتحدث بصراحة عن نفوذ ايران مع «حزب الله» ثم ان لانان حمّل، لأول مرة، كلاً من سورية وايران مسؤولية اساسية في إنجاح أو افشال تنفيذ عناصر اجماع الحوار الوطني اللبناني.

أبرز الاجراءات التي طالب بها دمشق هي «انشاء السفارات وترسيم الحدود» باعتبارهما اجراءين اساسيين في «احترام السيادة والسلامة الاقليمية والاستقلال السياسي لأية دولة» وكذلك «خطوة مهمة نحو منع الاتجار غير الشرعي عبر الحدود بالسلاح»، ونحو تمكن الحكومة اللبنانية من «بسط سيطرتها على كامل أراضيها» ومن تجريد الميليشيات من السلاح، ونحو حسم مصير مزارع شبعا.

هذا المفتاح الرئيسي الى تطبيع العلاقات يقع في يد القيادة السورية في دمشق. فإذا استمرت دمشق في التحايل على ترسيم الحدود واشتراط البدء بها من أقصى الشمال كي تبقى مزارع شبعا رهينة مراوغاتها وكي يبقى لبنان ساحة ميليشيات لها ولغيرها، على الأطراف العربية ان تقطع الطريق عليها.

فالأمر لا يتعلق بلبنان وحسب وانما يتعلق بالممر السوري بين لبنان وايران كما بين ايران والدول الخليجية العربية. ولقد حان الوقت لاستراتيجية عربية متكاملة ذات الف وباء وجيم ودال نحو سورية ونحو ايران ونحو العلاقة السورية – الايرانية. فالمسألة ليست عابرة وانما هي خطيرة.

اذا كانت سورية تضمر حسن النية وتضع المصالح العربية في مطلع أولوياتها، يجب أن تعطيها الدول العربية الأخرى كل فرصة لاثبات ذلك في لبنان وفي علاقتها مع ايران.

أما اذا تبين أن سورية لن توافق على ترسيم الحدود مع لبنان واقامة علاقات ديبلوماسية معه على رغم الاجماع اللبناني والاقليمي والدولي على ذلك، يجب على الدول العربية الوقوف ضدها وعدم السماح لها باستخدام الوقت لصالحها بهدف اطلاق الميليشيات لتدمير لبنان. ذلك ان التهيقر العربي أمام الرفض السوري ترسيم الحدود سيكون استثماراً عربياً في تدمير لبنان عمداً.

كذلك، اذا وجدت الدول العربية التي ما زالت تعطي دمشق كل فرصة ودعم واعتراف بمكانتها ان القيادة السورية تريد توظيف تلك المكانة في المحور مع ايران لتؤذي العرب، على هذه الدول ان تتصرف بما يخدم مصالحها هي. فحسب الورقة الايرانية من دمشق في المتناول، عكس ما كانت عليه الأمور في الثمانينات. وهذا سلاح يجب عدم حذفه من الخيارات المتاحة.

لقد حان وقت التخرج من الخوف والتخويف لأن الخضوع لهما ثمن أغلى بكثير من الاقدام والمبادرة وابلاغ كل من يعنيه الأمر ان هذا زمن آخر.

راغدة درغام – نيويورك